محاضرة

المشروع الفكري لعلي شريعتي

حياته

ولد علي شريعتي سنة 1933م في مدينة خراسان بإيران ،هو مفكر إيراني شيعي ، تخرج من كلية الآداب، ثم غادر إلى فرنسا على إثر المنحة الدراسية حيث واصل دراسته العليا في جامعة السوربون للحصول على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، وقد أرسل إلى بعثة دراسية بالمصادفة إلى فرنسا، وهناك أعاد بناء ذاته الثقافية، يقول عن هذه الفترة: (وبين فجوة من جدار الجامعة يقفز إلى داخلها بل وفجأة يجد نفسه في قافلة تحمل أولاد الأشراف ومدللي المملكة وزبدة البرجوازية الجديدة في المدينة وأحياناً أولاد خانات الإقطاع الذين أصبحوا عصريين إلى مراكز الحضارة والثقافة والقوة والثروة والصناعة واللهو والقصف في العالم) [1]،وخلال وجوده في باريس تعاون مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية،)،ففي عام 1952 أصبح مدرسًا في الثانوية ،وقد أسس في نفس العام اتحاد الطلبة المسلمين،انضم في شبابه في حركة محمد مصدِّق (رئيس الوزراء الإيراني الذي أمم ثروات بلاده وانقلبت عليه الدول الكبرى، وقد أسس في نفس العام اتحاد الطلبة المسلمين، في عام 1953 بعد الإطاحة بمصدق كان أول اعتقال له من قبل سلطات الشاه وذلك على إثر أحد المظاهرات، بعد الإفراج عنه أصبح عضوا في الجبهة الوطنية، حصل على درجة البكالوريوس من جامعة مشهد في عام 1955، وفي عام 1957 تم اعتقاله مرة أخرى من قبل سلطات الشاه جنبا إلى جنب مع 16 آخرين من أعضاء حركة المقاومة الوطنية.

[1] علي شريعتي ،تجديد التفكير الديني، دار الأمير، بيروت، ص 93

في عام 1960 بدأ القراءة لفرانتز فانون حيث قام بترجمة بعض من مختاراته إلى الفارسية واعتقل في باريس عام 1961 بتهمة المشاركة في تظاهرة تضامنية مع باتريس لومومبا أول رئيس وزراء منتخب للكونغو والذي اغتالته الاستخبارات البلجيكية. في نفس العام أسس مع إبراهيم يزدي و مصطفى جمران وصادق قطب زاده حركة حرية إيران في الخارج، وفي عام 1962 تابع دراسة علم الاجتماع وتاريخ الأديان، وتابع دورات المستشرق لويس ماسينيون وجاك بيرك وعالم الاجتماع جورج جورفتش، وتعرف أيضًا على الفيلسوف جان بول سارتر، وقد حصل على الدكتوراه عام 1964.

في سنة 1975 ألقي القبض على شريعتي بتهمة نشر "الماركسية الإسلامية" والتواصل مع المجاهدين الإرهابيين حتى أُفرج عنه بتوسط الحكومة الجزائرية لدى الشاه، لكن في 1977 عُثر عليه ميتا في بيته في لندن وأعلنت السلطات البريطانية أنه توفي على إثر سكتة قلبية، ودفن في دمشق بجانب ضريح السيدة زينب كما تمنى، وحتى الآن يعتقد الكثيرون أن شريعتي قتل على يد المخابرات الإيرانية.

مؤلفاته

صحيح أنّ الدكتور علي شريعتي عاش 43 سنة فقط، إلا أنه كان غزير الإنتاج الفكري و الأدبي ، وقدم الكثير من الأفكار الجدلية في العديد من كتبه، ومنها :

- مسؤولية المثقف
- معرفة الإسلام –
- مسؤولية المرأة
- النباهة والاستحمار
- ونحن في عصر الاستحمار اليوم
- الإمام علي في محنه الثلاث: محنة التاريخ، محنة التشيع، محنة الإنسان
- الحج الفريضة الخامسة

- دينٌ ضد الدين
- بناء الذات الثورية
- منهج التعرف على الإسلام
- التشيع مسؤولية
- التشيع العلوي والتشيع الصفوي
- العودة إلى الذات
- الإسلام ومدارس الغرب
- الأمة والإمامة
- تاريخ الحضارة
- تاريخ ومعرفة الأديان.

مرجعياته الفكرية

صقل علي شريعتي فكره بكثير من المرجعيات الفكرية التي تأثر بها و وضفها في دراساته وانتاجاته ،فنجد الكثير من المقولات والمفاهيم المتنوعة التي استمدها من الدراسات والعلوم الإنسانية الحديثة التي كان متضلعًا فيها، بحكم اختصاصه في جامعة السوربون في علم الاجتماع الديني وتأثره بأعمال عملاقة الفكر الغربي أمثال ريمون آرون ،وماسينيون ،وجاك بيرك ،وهنري ماسيه وغيرهم ، ثم نجده يقوم باعادة توظيف هذه المفاهيم لبناء نظريته التوفيقية التي توفق بين التراث والمعاصرة .

ونجده بالرغم من معاداته للماركسية إلا أن تأثر بها وبمفاهيمها ، فنجده في كتاباته يستعمل المفاهيم الماركسية بكثرة مثل : "البنية التحتية" و"البنية الفوقية" و"الحتمية التاريخية" و"الجدلية" و"الطبقات المسحوقة" و"الفوارق الطبقية" و"أفيون الشعوب"!

كذلك استثمر ،على المستوى نفسه،العبارات التراثية،مثل:"المستضعفين" و"المظلومين" و"البيعة" و"الوعاظ" و"الإمامة" و"الولاية"، والرموز الدينية، مثل: قابيل وهابيل وقارون وبلعام بن باعورا، واتكأ على الأسماء القرآنية، مثل: الطاغوت والتوحيد والشرك.

تأثره بفكر برغسون كان جلي وخاصة ، أطروحة هنري برغسون تفريقَه بين "الدين المنغلق" و"الدين المنفتح" ،فغوصه في دراسة تاريخ الأديان جعله يستخدم هذا التفريق بين "دين السلاطين" و"دين العامة"، وبين التشيع العلوي الصحيح والتشيع الصفوي المنحرف.

غير أن نظرة شريعتي التي تحمل الإعجاب للفكر الأوربي كانت تحمل كذلك نظرة الريبة والحذر في ذات الوقت ،فهو يعترف من التطور التصاعدي الذي حققته الحضارة الغربية من الناحية المادية وحتى على مستوى القوانين التي تحقق العدالة الإجتماعية والحقوق للمواطنيين ،لكن في نفس الوقت كان شريعيتي يدعو إلى اعادة بناء الذات الإسلامية ومحاولة تجديدها وتقيمها واصلاحها ،فعليه فتأثره جلي لمرجعيات أسست للمذهب الشيعي أمثال : الطوسي والطبرسي والمفيد والمرتضى والحلي ،غير أنه أعادة قراءتها وتأويلها على ضوء علم الأديان الحديث وعلى ضوء المقولات السياسية اليسارية والإيديولوجية الكفاحية، قام شريعتي باعادة قراءتها و تفسيرها كما فعل مع "الإمامة" و"العصمة" و"الوصاية" و"الولاية" و"التقية" و"الغيبة" و"الشفاعة" ومفاهيم ومصطلحات عقائدية شيعية، بحيث يقوم بافراغ هذه المفاهيم من محتواها الميتافيزيقي ويعطيها محتوى اجتماعي وسياسي ،وهو هنا يلتقي مع فكرة محمد أركون أن " الإيديولوجيا تتكلم بلغة روحانية "، وهي فكرة مقتبسة من " لاهوت التحرير " المسيحي في أمريكا اللاتينية.

هل يكفي النبوغ من أجل تأسيس حضارة مزدهرة ومتطورة ؟ أم أن للمنهج دور أساسي وفعال في خلق الحضارة ؟ و كيف استطاع علي شريعتي أن يوفق بين الليبرالية و الدين ؟ ماهي الميكانيزمات التي استعملها شريعتي في محاولة تخليص الإسلام من الخروفات و الشوائب التي لحقت ؟

منهج علي شريعتي

المنهج في رأي شريعتي هو "أسلوب المعرفة الصحيحة لكشف الحقائق وهو ذو أهمية أكبر من الفلسفة والعلم والموهبة" [1] ،إذ يرى أن المنهج كان أساس قيام الحضارة الأوروبية خاصة بعد أن حررت نفسها من سيطرت المنهج الأرسطي القائم على القياس,فكان المنهج سبب للرقي والتطور الأوروبي ،فالنهضة اللأوروبية في تصوره جاءت متسارعة ،وهذا بسبب المنهج ،يقول(إن العامل الأساسي في تخلف الفكر الأوروبي ،والمدنية والثقافة في أوروبا في السنوات الألف من القرون الوسطى ،كان هو المنهج الأرسطي المعتمد على القياس ،وعندما تغيرت هذه النظرة إلى الأشياء و القضايا ، تغير معها العلم و العالم و المجتمع) [2] ، فالتغيير في محتوى الفكر يوجب تغيّرا في المنهج ، وهو ما انعكس على الرؤية الأوروبية وتم تغير النظام الإقطاعي إلى النظام البورجوازي. يرى كذلك شريعتي أن أهمية المنهج الحضارية ليست مرتبطة بأهمية النبوغ العلمي بل قد يكون النبوغ العلمي عائق أمام نهضة ولنا في أرسطو ومنهجه خير مثال ، ورأى أن النابغة المتوسط يستطيع الوصول إلى الحقيقة إذا امتلك المنهج الصحيح بينما النابغة العظيم قد لا يتمكن من ذلك إذا افتقده (لا ريب أن أرسطو كان أعظم نبوغا من فرانسيس بيكون وأفلاطون كان أنبغ من روجر بيكون ، لماذا أصبح هؤلاء الأفراد ، اللذين هم أقل درجة في النبوغ من أرسطو و أفلاطون ..الجواب هو أن الثاني وجد المنهج الصحيح للتفكير) [3] ،وعليه كيف يفهم على شريعتي مسألة المنهج على أنها طريق لمعرفة الحقيقة، وأية حقيقة يريد شريعتي أن يوصلنا إلى فهمها ؟

---

[1] علي شريعتي ، منهج التعرف على الإسلام ، تر عادل كاضم ، دار الأمير ، العراق ، الطبعة الأولى ، سنة 2006 ، ص 6

[2] نفس المصدر، ص 7

[3] نفس المصدر ، ص 8

يرى شريعتي أن مهمة الباحث الأولى هي اختيار أفضل منهج وبالتالي علينا كمسلمين أن نستفيد من التجربة الأوروبية إدراكا للمسؤولية ووعيا بالواجب، وهذا محاولة منه النهوض بالأمة في بحثه عن المنهج الصحيح لمعرفة الإسلام ، قبل اختيار المنهج لابد من ايجاده وعليه فالمنهج عنده يشبه ما دعى إليه مالك بن نبي في " مشكلة الأفكار " حيث نجد كلاهما يشترطان أصالتها ،أي أن تكون نابعة من واقع الإنسان وليست مستوردة من خارج الذات ، وهذا نقطة أساسية في مسألة الإبداع و كيف يكون ؟ من أجل الوصول إلى كل جوانب لمعرفة الإسلام ، يقول شريعتي (ماهو المنهج الصحيح لمعرفة الإسلام ؟ فلمعرفة الحقائق الإسلامية ليس علينا أن مثلا منهجا من مناهج الأوروبية ، مثل المنهج الطبيعي أو المنهج السيكولوجي ،أو المنهج الإجتماعي ،ونقلده وإنما علينا أن نختار منهجا جديدا نبتكره ،وطبعا فإن المناهج العلمية الأوروبية يجب أن نعرفها ،لكن لا يجب حتما أن نقلدها) [1] ،فالتعددية التي طرحها شريعتي مبررة سببيا ولم تأت مؤدلجة كما يفعل مفكرونا المعاصرون خاصة منهم أصحاب المرجعيات المستعارة فهو يربطها بطبيعة الإسلام نفسه، الطبيعة التي سيكرس محاولة معرفته لها.

فكر علي شريعتي

إن المحلل لفكر شريعتي يلاحظ ، أنه يمزج الدين بالفكر والعقيدة بالواقع،فهو مفكر يمتلك قدرة فائقة على تحليل الحدث وتوظيفه توظيفا متقنا للإقناع برأيه ، وقد كان من أبرز المفكرين الذين واجهوا التسلط الديني والأفكار الخاطئة للتدين، وكذلك قاوم السلطة الغاشمة في إيران في تلك الفترة فكرا وعملا ،وكون شباب كثر يؤمنون بالمنهج الإسلامي منهجا للتغيير ،كان فكره فكرا نقديا للإعتقادات الشعبوية المتحجرة ،ومدرستهُ هي النواة الأولى لفكر الشباب الإيراني نحو التنوير و المعرفة.

[1] علي شريعتي ، منهج التعرف على الإسلام ،مصدر سابق، ص 10

لقد تميزت الذات وفكر شريعتي ببراعة الخطاب ،وكذا توفر ثلاث صفات صنعت من شخصيته شخصية متكاملة و توافقية وهي : "المثقف ،والداعية ،والمناضل " ،فكان ملهم للشعوب التي تعيش الإنهزامية واليأس من التغيير وحاول ايقاظ شعورهم بذاتهم .

إن المتتبع لفكره يدرك بأن الرجل يحاول توضيح الجانب المنير لتدينه ،فهو قريب من أهل العقل، ومن السهولة التحاور والاتفاق أو الاختلاف معه،لأنه رجل يفكر من خلال أداة العقل لا من خلال السلطة المرجعية والموروث القديم الذي يتراكم على الرؤية ويكون غشاوة على الأعين و القلوب .

أهم معالم فكر علي شريعتي

أ. الدين بين المؤسسة و الواقع

كان شريعتي يأخذ موقفا معارضا لوجود المؤسسة الدينية ، التي اصبحت متأخرة التفكير وتحتكم على سلطة فوقية تهيمن على المسلمين و تضطهدهم بإسم الإسلام ،فالدين في المؤسسة الدينية هو دين تخديري ،لا شك أن شريعتي هنا يحارب الاستفراد في الفهم لفئة معينة للقرآن والسنة، كما أنه يعاني من أولئك أصحاب العمائم المتاجرين بالدين والمخدرين للناس باسمه.

ب. محاربة التعصب و الغلو

علي شريعتي كأي مفكر متحرر من قيود تفكيره القديم، فحارب قضية التعصب من خلال الوصول إلى عمق الدين والفكر، بالنسبة له الغلو موجود في التشيع العلوي الذي ورثناه عن الأئمة ومن تلاهم ،وإنما جاءنا من طرف أعداء العقل والمتأثريين بالتشيع الصفوي، وقد كان كتابه (الصراع بين التشيع العلوي والتشيع الصفوي) سلاح فتاك استعمله في القضاء على الخرافات و الأباطيل و التعصب و البهتان الذي مس الفكر الشيعي.

ت.التقريب بين المسلمين و تحقيق الوحدة

كان هم شريعتي هو التمزق و التفرقة التي تعاني منها الأمة الإسلامية ،ولهذا كرس فكره ووقته من أجل البحث عن أسباب هذا الوضع عمليا وعلميا ، فيقوم بطرح هذه القضية الخطيرة على أسس البحث العلمي الصحيح حيث يبحث عن السبب وراء حدوث الفتنة بين المسلمين ،لقد حاول أعداء الإسلام إقناع الشيعة بأن جميع أهل السنة هم من النواصب كما حاولوا إقناع السنة بان الشيعة من الغلاة.

ث. مسؤولية المثقف

يحدد شريعتي مسئولية المثقف في مهام عدة يحصرها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،لكن طمس حقيقة معناها جعل العمل بهما عملا مرفوضا ومستهجنا ،يقول شريعتي (إن مسؤولية المثقفين اليوم ودورهم في العالم يشبه أساسا الدور الذي كان يلعبه الأئمة وقادة التغيير والتبديل أي الأنبياء والرسل وأئمة المذاهب في المجتمعات القديمة .. كانوا يقومون بخلق مباديء جديدة ورؤى جديدة و حركة طاقة جديدة في أعماق وجدان مجتمعاتهم و عصرهم)[1] .

ج. ثورية الدين

الدين في فكر شريعتي ليس مجرد شعارات وشعائر للعبادة إنما هو دعوة إلى الثورة والطغيان على كل الأفكار معداه ، فكل خطاب فيه يدعو إلى عبادة الله و نبذ عبادة التسلط والطاغوت..

[1] علي شريعتي ، مسؤولية المثقف ، تر ابراهيم دسوقي شتا ،دار الأمير ،بيروت ، ط الأولى ، سنة 2005 ، ص 125

ح. رؤية التاريخ

يرى علي شريعتي أن المجتمع الوحيد في تاريخ البشرية الذي بني على أساس الدين هو مجتمع المدينة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،ولم يكن هذا المجتمع حقيقة تاريخية في مرحلة معينة بل كان على شكل رمز مثالي.

نقد فكر شريعتي

أهم ما يؤاخذ عليه شريعتي في فكره ،هو تلك القراءات التي توصف من النقاد بـ"الانطباعية" المتسرعة لمعطيات المعرفة الحديثة، كما أن دراساته للفكر الغربي كانت سطحية لا تصل إلى العمق ، واكتفائهِ بفهمٍ مبسط له، مع تعاطٍ شعاراتي، تكون أحيانًا مع المقولات والمفهومات والأنساق المتشابكة للفكر الحديث .

يرى الرفاعي أن شريعتي ضعيف في تكوينه في المعارف الإسلامية، والعلوم العقلية والنقلية ،وبحسب رأي داريوش شايغان "شريعتي يكتب لنا وصفة طبية، ويعطينا إياها قبل تشخيص المرض"، ناهيك عن خلطهِ بين شخصية الداعية المؤدلج وشخصية المثقف، والتيه في مفاهيم غائمة، صاغها بقوالب شعاراتية ثورية.

ما يعيبه النقاد كذلك على شريعتي محاولته تفسير بعض الآيات القرآنية تفسيرا ماركسيا ، فأسقط "المادية التاريخية" على قصصهِ ومنها قصة "هابيل وقابيل" ، كما قام ببناء إسلامي على لقواعدِ الفكرِ الماركسي، فكانت أولياته ومبادئه ماركسية ، كان يفسر كل شيء بعبارات ماركسية، ببنى فوقية وتحتية، وبرؤية ثنائية للتاريخ. حتى عد فكره خليطًا من الجذرين ، لذا كان إسلام شريعتي بحسب المفكرين الناقدين أعلاه إسلامًا مؤدلجًا، ذا دوافع دينية وعاطفية، يشف عن مقولات اجتماعية واقتصادية مسطحة.

كذلك ما يحسب ضد شريعتي موقفه من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فهو نفسه موقف بقية الشيعة، فهو لا يرى في الصحابة إلا ما يراه غالب الشيعة، وعلى الرغم من

موقفه هذا تجاه الصحابة، إلاّ أن شريعتي ينكر على الشيعة سبّ الصحابة ولعنهم، لأن عليّا كره لأصحابه أن يكونوا لعّانين.

ويمثل خطاب شريعتي هنا تلك المرحلة من الوعي الإيراني الذي يحاول مواجهة الدكتاتورية السياسية الحاكمة، دون تجذير الديمقراطية في الخطاب الديني، مما يؤدي إلى خلق دكتاتورية سياسية حاكمة جديدة، بل هي دكتاتورية جمعت بين الدكتاتوريتين السياسية والدينية، مما يقود إلى آفاق خطرة للشعب.

يتلخص مشروع شريعتي في سعيه لتجديد منهج فهم الإسلام على المستوى الاجتماعي والسياسي،وهو سعي يحتم البدء بمراجعة الذات وتنقية التراث والوقوف في صلب معركة المواجهة ضد الاستعمار والاستبداد والاستغفال الديني،ويرسم شريعتي الجدلية التاريخية التي راهنت كل أزمات الإنسان وسياسات استغلاله،فكان الاستغفال مع الجهل، والاستعمار مع الخوف، والاستغلال مع النفعية ،ولمواجهة ذلك كله أرسى شريعتي منهجية متميزة في قراءة القرآن وفلسفة الواقع، وتحلى بمعية ذلك بإيمان كفاحي عارم.

علي شريعتي إذا درسنا مجموعة كتبه، تحدّث عن التاريخ وتحدث عن الحضارة، وتحدث عن الغرب وتحدث عن الحرية، وكل هذه قيم هي قيم إنسانية وليست قيمًا مرتبطة بزمن معين ومكان معين ،الرجل تجاوز جغرافيته، تجاوز العوائق الاجتماعية، والعوائق المذهبية، والعوائق الفكرية،وكذا العوائق السياسية، والعوائق الجغرافية لكي ينتصر عليها كلّها في الأخير ويُنتِج فكرًا يصبح فكرًا إنسانيًا يستفيد منه ليس فقط الإيرانيون وإنما أيضًا يستفيد منه كلّ المسلمين في العالم أو المهتمون بالفكر الإنساني المعاصر.